



ميربشير



قصيدة
لبولس سلامه

الامير بشير

قصيدة للشاعر بولس سلامه

©

المطبعة الكاثوليكية . بيروت

الاهداء

الى حضرة اللبناني الاول

صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخوري

رئيس الجمهورية اللبنانية المعظم



رسم المؤلف

كلمة

للاستاذ الكبير

العالم اللغوي الجليل

الشيخ ابراهيم المنذر

يُطلّ هذا الكتاب على لبنان وقد نظم فرائده رجل ولد في الجبل من ابوين صالحين ، وهناك الاب والعم والجد ومن عاصرهم عاشوا في ظل الأمير الكبير ، وعرفوا قدر الامير وحزمه وعدله وكل ما اشتهر به من عظمة وأنفة وشمم ، وسهر على راحة الرعية وعزها ومجدها ، ونشر الامن والوئام بين افرادها على اختلاف مذاهبهم ومنازعهم.

اما شاعرنا ناظم هذه الملحمة فقد اخذ العلم من معهد ينشر (الحكمة)[1] ويهذب الاخلاق ويغرس البيان العربي في اذهان الطلاب ، ويرسلهم جنوداً يعززون العلم ويخدمون لبنان بكل ما في صدورهم من ادب ومحبة ، واخلاص وايمان ، واذا بادينا ناظم هذه الملقة الكبرى وسواها من المعلقات الغرر (كعلي والحسين) و(حمدان البدوي) و(ألم) يبزّ رفاقه ويحلق في جو البلاغة تحليقاً ادهش رجال العلم والفضل في هذا الوطن.

وقد تولى القضاء حيناً كان فيه مثال القاضي العادل الخبير النزيه ، ونظم ونشر المقالات البليغة ، وحملت الصحف من درره ما تلقاه جمهور القراء بالشكر والاعجاب . وكان للمنابر منه نصيب وافر يتسابق ارباب الادب الى استماعه والاستفادة من حكمه الرائعة وسعة اطلاعه والاشادة بذكره العَطِر في كل مجلس راقٍ وناد كريم.

---

١) يقصد بذلك مدرسة الحكمة الوطنية.

وسقط الاديب الشاعر تحت مبضع الجرّاح وانزوى في داره يعاني ا لحم ويعوده الاصدقاء ، فاذا المريض الجريح يقابل عوّاده بالبشاشة والوداعة ، والحديث اللذيذ الجذاب والنكتة اللطيفة مع شدة الآمه وتنقل المشراط في جوانب جسمه الغضّ كأن القابض عليه آلى ان لا يترك في ذلك الجسم الجبار ناحية لا يمسها مبضعه فيا لله من الدهر متى ثارَ وجارَ .

ولكنّ ذلك المريض لم يقعده الداء ، ولم تمنعه (العمليات) المتتابعة عن الكتابة في ما يعنّ له من الشؤون وتخرج من نظرات عينيه ونبضات قلبه وخطرات افكاره أبلغ المقالات وأرق القصائد.

اما موضوع هذه المعلقة الكبرى والملحمة الصغرى فالامير بشير الشهابي الكبير وكفى بذكر اسمه تعريفاً يوقظ الهمم ويعيد الى الاذهان عهد الشهابي الزاهر بكل ما فيه من روعة ومهابة وعظمة ونفي واضطهاد . فاقرأ بها ايها اللبناني الكريم تأريخ امير الجبل الأشم شعراً يسيل فصاحةً وعذوبةً وقدس رفاته وضريحه وادع للشاعر الفذ بالسلامة والصفاء .

بيروت ٣ حزيران ١٩٤٧

ابراهيم المنذر

كلمة

الاستاذ سابا زريق شاعر الفيحاء

من متانة العقيدة ، ورقة العاطفة ، ومضاء العزم ، وصفاء الطبع ، وصدق الوفاء ، صاغت الطبيعة بولس سلامه .

نشأ في احضان هذا الجبل وترعرع ، ولما اتمّ دراسته تكشف عن ميل فطري الى الادب وجلا عبقرية فياضة بسعة الخيال وسمو الالهام وجرأة التفكير ، ثم انخرط في سلك القضاء بعد فوزه بشهادة الحقوق .

فكان وهو يحكم بالناس فيجلو من العدل الوانه ومن نقاء الضمير والجرأة في الحق خير ما عرفه الناس في حاكم .

يرسل من بنات قريحته الروائع البدائع فيحلّي جيد الشعر باسمى العقود واغلاها جوهراً وما (بنت يفتاح) وسواها من درره الغوالي الا صور حية لشاعرية بولس الزاخرة بالابداع والالهام ودقة التصوير ، ورشاقة الديباجة والمتانة حتى أدرج في الفئة المختارة من الشعراء المجيدين ، وغلغلت شهرته في عالم الشعر فواحة الاريج نابضة بحياة التجديد وسمو الابتكار والانتاج .

وما صدمه الداء العضال الا ليثبت قاعدة لا تقبل التحويل والتبديل وهي ان الدهر حرب على امثاله من النوابغ ، يدهمهم بالخطوب ، ويجرعهم كؤوس المؤلمات اللواذع ، فهو ما برح منذ اعوام قعيد الداء يكابد فيه ما يفوق طوق البشر احتماله . على ان سلطان الداء وان تمكن من جسمه فقد ارتدّ صاغراً عن روحه الهازئة بالالم ، ترسل اشعتها من حين الى آخر فتخترق حجب الحياة وتجلو للبصائر شتّى العبر . ولنا (بحمدان البدوي) و(الالم) و(اليتيم) و(من لبنان) و(النسر) و(على والحسين) وغيرها من آيات الشعر الخالد دليل على ان بولس

سلامه في سورة مرضه اشد اشرافاً على مكامن الحقيقة وعبر التأريخ منه سليم الجسم معافى.

فاذا اطللت عليه ملقى في فراشه ، وقد انبسطت اسارير وجهه وخيّمت في ثغره ابتسامة، ما شككت في انك تلقى اسدًا يتلوى على الجراح في العرين ، او بطلًا مغوارًا ثنى العنان عن الميدان واستراح ، ولاخذتك منه هيبة قد تجالسه طويلًا ولا تنفض عنك تاثيرها.

هذا هو الشاعر الذي يتحف العالم العربي اليوم بفريدة جديدة من فرائده، تحط الخلود لناسج بردها كما خطّت الخلود بطولة الامير اللامير.

طرابلس ٤ ايار ١٩٤٧

سابا زريق

تصدير للمؤلف

●

نشأتُ في (بتدين اللقش) وهي قرية وضيعة في لبنان الجنوبي (قضاء جزين) واول ما تفتح عليه بصري هو غاب الصنوبر الدائم الخضرة ، ينطلق شجره كالأسَل في التلال الشقراء تكتنف القرية من كل جانب.

وقد مكَّن الصنوبر لجذوره في هضبات الرمل الذي تحسبه رأد الضحى سبائك التبر المتجمد يمسك بالشجر في عطفات المنحنى كأنه يضن به على الهاوية، فتطمئن الجذوع الى حضن أليفها الرمل يقيها عادية الأعاصير قبل ان تعرف الشجرة اصدقاء لها في الآدميين.

واللقش في لغة العوام من سكان الجبل هو لبّ الصنوبر ، اي هذه الطبقة الشقراء العطرية الرائحة ، وهي من الشجرة بمنزلة القلب من الانسان ، لكنه قلب لا ضعف فيه ولا خور ، فاذا امتدت يد البلى الى الجذع وما يحيط به من قشور ، صمد هذا القلب على الزمن لانه موصول بالخلود . واول ما تنبه له خاطري يوم ودعت الطفولة هو معرفة السبب في اضافة لفظة بتدين الى اللقش، اذ انها لم تنفرد بهذه الغابات ، فان لجاراتها من القرى ما لها من الصنوبر ، فقيل لي ان (المير بشير) هو الذي خلع على القرية هذا اللقب تمييزًا لها عن بتدين الاولى عاصمة لبنان على ذلك العهد.

وكان هذا الجواب فاتحة لاسئلة جديدة تتصل بالامير ولقد كفيت الجواب عليها بما كنت اسمعه في سهرات الشتاء من شيوخ بلغوا السن العالية ، فكانوا يتحدثون عن بشير بما يشبه الاساطير ، حتى كأن ذكره نقطة الانطلاق في السمر وكأن الكلام عنه طري، طراوة الحبر الذي تقطَّر على الورق ولم يجف بعد.

وسبح بي الزمن فلقيت في الحياة قليلًا من الحلاوة وكثيرًا من المرارات

وأشدها هذا المرض الذي الم بي منــذ احد عشر سنة فاقعدني عن الحركة منذ خمس سنين ، وتزلت عن القضاء الذي توليته زهــاء خمس عشرة سنة ، وشُلَّ قلمي فطلقت الادب خلال سنوات عشر ، ثم حنَّ اليَّ وعاودته في السنة الماضية افيء اليه في فترات الراحة بل عندما يهادنني الالم فكانت قصيدتي (علي والحسين) وبضع قصائد ومقالات نشر بعضها ولم يزل بعضها الآخر مطوياً.

منشأ هذه القصيدة

زارني — ولا اقول عادني لان صحتي هي العجب على حد قول ابي نواس، وان اختلف المعنى والسبب - نسيبي الغالي الاستاذ الياس سلامه في اواسط شهر نيسان الفائت وهو كثيراً ما يزورني ويؤاسيني لانه من الاوفياء الذين لا يتنكرون لذويهم واصحابهم اذا ما تنكر لهم الدهر ، واقترح علي ان انظم قصيدة في الامير بشير لمناسبة نقل رفاتــه من اسطنبول الى لبنان ، فحملتني الذكرى من كهولتي الحاضرة الى فجر صباي ، وتمثلت حياتي حلماً توسط بين يومين ، فقلت في نفسي لقد كان ذكر بشير اول ما تنبه له خاطري في مَطلَعَ الرشد ، افتراه يكون آخر ما يجري به قلمي وانا بين اصيل مودع وغروب راصد . وتمت القصيدة في شهر . ولقد اردتها نشيداً لبنانياً يرى فيه النشء الطالع ناحية موجزة من لبنان وتاريخه . واللبنانيون الذين ينعمون اليوم بعهد جديد من السيادة والكرامة الوطنية احوج ما يكون الى التمثل بابطالهم الغابرين ولم يقم بين هؤلاء الضياغم الصِيد بعد المعنيِّ (الكبير) اظهر من بشير ، سليل اشرف بيوت العرب ، سليل القبيلة التي لو علمت ما لها عند الله لطغت[1].

واذا انت تأملت رسم الامير وانعمت النظر في قسماته — وقد تعذر ذلك على معاصريه يوم كان ذلك الوجه رائعاً يجيش بالحياة والقوة - تبينت فيه عِرنين الاسد المَشرقيِّ يطل عليك ومن ورائه البطحاء عزيزة باسيادها قريش البطاح .

ولقد آثرت ان التزم في النظم وحدة الوزن والقافية تمشياً على طريقة العرب الأقحاح في الصيغة ، على تجديد في البيان ، غير مدّعٍ عصمةً او تفوقاً فانا واحد

---

١) في حديث مسند ان قريشاً لو علمت ما لها عند الله لبطرت .

من الوف العاملين في حقل الأدب ، ونصيبي نصيب المجتهد فاما أخطأت فلي اجر واحد و إما أصبت ضوعف لي الاجر.

ولا يخفى على القارئ أني راعيت الحقيقة جهدي والتزمت النقاط التأريخية التي اشرت اليها في الهوامش ولا أحسبني تعمدت اغضاب احد وان كان ثمت مجال للوم فهو واقع على التأريخ اذ للشاعر ان ينطلق بجناحيه الى حيث يطيب الهواء والماء شرط ان لا يشوه الحقيقة.

وفي المقطع الذي كتبته عن لبنان وقيمته في حاضره وماضيه لم اتعمد الانتقاص من قيمة أي بلـد آخر ، فلكل اقليم ، ميّزاته وقيمه التأريخية والطبيعية فمن ينعت هندًا بالجمال لا يسيء الى اختها الجميلة ولكنه في سياق الكلام على هذه لا يسعه وصف جمال تلك ولا بد لي هنا من إيضاح سياسي فانا لبناني قبل كل شيء ، اريد لوطني استقلاله التام على ان يكون أخاً حميماً للاقطار العربية الشقيقة ينفتح عليها وتنفتح عليه ، له ما لها وعليه ما عليها فقد حان لهذا الشرق أن يتحد ويستفيق من سباته الممدود.

ولا بأس أن ينفتح لبنان على الغرب فيفعل ما يفعله ناقد الجواهر ، يتخير اليواقيت ويبقي الزيوف لاصحابها فلا يكون دائناً لان حقه عرضة للضياع في فم الليث ، ولا مديوناً لئلا يرهن عقاره فيحتل الدائن بيته ويستعبده الى الابد.

فيا ايها القارئ العزيز انت لخي باللغة والقومية والنزوع الى التحرر – إلّا من قيود الفضيلة والخير – فان كنت قـد اسأت اليك فمن غير قصد والله غفور رحيم وان رأيت لي حسنة واحدة في عين رضاك فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره.

بولس سلامه

اسطنبول

كاشفَ اللحدِ عن رفات الامير سائلِ الشمسَ هل ثوت في حفير
ايها التـارك التراب فجيعاً قد سلبت الضريح أنسَ النور
كان يعتز بالضيـاء دفيقاً دفقةَ الشمس في الظلام الضرير
ويُباهي البوسفور وارث روما والسلاطين بالشهـابِ الاسير
وَيكَ أطرقْ طَرْفاً وَقاحاً وحاذر هيبـة ملء ذلك الـديجور
هي من يقظة الجراح لهيب وزفـير من أنّـة الموتور
طـال سجن الامير قرناً فراع الكون أنْ لم يُخبِّ فوق العصور

. . .

يا غريب الديارِ لست وحيداً في جوار المعنّى فخر الدهور
أقسمَ المجد ان يُصفِّف نجماً تِلوَ نجمٍ في شاطىء البسفور[١]

---

١) توفي الامير في اسطنبول في اواخر سنة ١٨٥٠ وهو في الرابعة والثمانين من العمر ودفن في قاضي كوي بدير للارمن الكاثوليك وملخص ذلك ان الامير لما راى رعاياه ينقلبون على المصريين أدرك حرج مركزه ومركزهم واخذ يتهيأ للطوارىء . وفي العاشر من تشرين الاول ١٨٤٠ نهض من بتدين باولاده الثلاثة وزوجته وحفيده الامير اسعد ومدبره المعلم بطرس كرامه وبعض الموالين له من الاكابر وكان ابراهيم باشا سائراً الى بتدين بفلول جيشه فلما علم بقيام الامير اسقط في يـده وتلقى من والده العظيم محمد علي باشا امراً بالرجوع بالجيش الى مصر دون قتال . ووصل الامير بشير الى صيدا قاصداً الى متسلمها فتلقاه هذا بالموسيقى والاكرام واقلته باخرة انكليزية الى مالطه مع زوجته وولده والمعلم بطرس كرامه الذي اغاظ معظم اللبنانيين بسوء تصرفه . ولما رسا المركب امام الجزيرة قابله الحاكم الانكليزي وانزله داراً تبعد ثلاثة اميال عن العاصمة . وبعد ان اقام في مالطة احد عشر شهراً استدعاه الباب العالي

تلك بيزنط ملعب الفكر والتأريخ والباب من عَصيِّ البحور
حيثما تلمح النسور شداداً توقظ الدهر لاقتناص النسور
هالها منظر الجناح مريداً ينشر الرعب موجعاً في الاثير
اطلقت من كنانة البغي سهماً حمل الموت للجناح الجسور
واحتضار العقبان ثورة نفس تجعل الافق بعض رحب الصدور
دارة الخلد ملعباها وتبقي حفنة الريش تحفةً للوكور

. . .

ايها الليث طال هجرك فالاخدار حَنَّت واومأت لبشير
نكَّسَ السرو هامه الخضر يوم الليثُ نأى عن غابه المهجور
وارتدى القصر وحشة الكوخ حتى ليقولون ليس باز القصور

بكتاب طيب فيه خاطره . وبينما هو يتأهب للرحيل الى الاستانة وقد انفتح له افق مخصب بالامل قدم عليه رجل رومي حاملاً رسالة من محمد علي باشا يدعوه بها الى مصر ومنها «أنك وان خالفت وعدك وتركتني فانا باق على محبتك لاني متأكد ان توجهك الى مالطة كا بسبب خدمتك لي فكن مطمئناً لاني ان شاء الله تعالى اجعل صالحك كصالحي».

فخاف الامير ان يكون من وراء دعوة محمد علي له نية في استخدامه لمآرب سياسية وان يفقد الامل في الرجوع الى لبنان . ولم يجب الامير الرسول بشيء بل اوفد بطرس كرامه الى الاستانة لجسِّ النبض فكتب اليه بطرس مُلغزًا : ان الصندوق في الاستانة ومفتاحه في لونده . وعند وصوله الى الاستانة تجمع عظماء الدولة لاستقباله وكانوا قد أشاروا على الوزير ان يقابله جالساً فما دخل الامير عليه حتى تهيّب ووقف . ولما انصرف الامير ساله احدهم عن سبب وقوفه فاجاب اني شعرت لدى رؤية هـذا الرجل بقوة انهضتني دون ارادتي والحق اني لم أرَ في حياتي في انسان هيبة مثل هذه . وقضى بشير في اسطنبول عشرة اعوام حاول فيها عبثاً استرداد منصبه ولكن الوزراء كانوا يداورونه

جزيرة مالطة

حمّـلوا البحر صنوه فتمشت في الأُواذيّ هيبـة للنظير
شأنه شأنك استقل المعـالي وسط تجواب زحمـة وهدير
ركد الموج طيعاً لوقـار واستعـار الخضم وجه الغدير
بهظ المجـدُ موجه فتجـلى مركب النور عابرًا في الحرير
يفرش الجوُّ رحبـهُ بنجوم ساطعـات تهتكت في سفور
وتعوم السفين فوق الـلآلي تتهـادى في عقدها المنثور

. . .

أنزلوه جزيرةً ضاق فيهـا نفس الليث في المجال القصير
كان بالامس كالفضاء طليقًا والخدور اعتززنَ مِلء البرور
وَيكَ لا يُقفصَ الغضنفرُ ان القفص الرذل محبس العصفور

ويطلون حتى توفي الامير في ٢٩ كانون الثاني سنة ١٨٥٠ اما بطرس كرامه الذي عرف كيف يتزلف الى الاتراك فانه تولى عندهم منصباً رفيعاً وعاش في بحبوحة من العيش.

وبذهاب الامير الى الاستانة تمت غلطته السياسية التي كان قد باشر بها يوم تسليمه للسر عسكر في صيدا وكان الاولى به ان لا ينفصل عن محمد علي وابنه ابراهيم باشا حتى ختام الحملة المصرية لانهما على كل حال مـا كانا ليتركاه لو بقي على اتحاده معهما ولكانا اشترطا له مع تركيا والدول الاوروبية شروطاً موافقة لمقامه او على الاقل لكانا اخذاه مع اولاده الى مصر مكافأة له على خدمته الجليلة لهما ولكن آراء بطرس كرامه البعيدة عن السداد زجت به في المواقف الحرجة.

(ملخص عن بولس قرألي والشيخ سليم الدحداح)

اما فخر الدين فهو المعني الكبير الذي قتل في الاستانة سنة ١٦٣٥ وقد اقيمت حفلة سنة ١٩٣٥ في مدرسة الحكمة لمرور ثلاثماية سنة على مصرعه

صخرة اقفرت كصدر فلاة جرّدتــه الايام جرد البور
تسرح العــين حرة لا تلاقي في مطـاويه حاجزًا للعبور
وطئتهــا اقــدام نبّوليونٍ فيصل النصرِ في يد المقدور
يوم امست في كفهِ رقعة الارض كرى اللهو في بنــان الصغير
اتراهــا وسنت هيلــين حلفين عــلى كل ضيغم مقهــور
يا لها من جزيرة شبه كوخ صغر الكوخ عن ريب الحدور
يصخب الموج حولهــا فيُغطّي من دويّ الأسود رجع الزئير
واذا خيفت الليوث غضــاباً ابعدوا صوتهــا عن المذعور

وكنت احد شعراء الحفلة يومذاك ومن قصيدتي فيه قولي:

يا شاطىء البسفور لا تجزع هذا اميرُ الشرق حيٌّ يعي
يرعاك بالعين التي ادمعت جوانب الــدنيا ولم تدمع
أحكمُ مَن سَلَّ المواضي ومن اشبع صاديها ولم يشبع
مسلسل الاجداد من يعرب معنعن الأمجــاد من تُبع
ارحب صدرًا من قصيّ المنى ومن خيال الشاعر المبدع
وكفّ فخر الدين فياضة حنت فدرّت درّة المرضع
تنادت الاغصــان في ارزه هذا امير السفحتين اخشعي
ضجّت جبال الشرق لما قضى واغرورق التاريخ لمــا نُعي
فالشمس رهن الحزن في خدرها خجلى على الشرقين لم تطلع
غمامة سوداء مكلومــة غطت حواشي ذلك المصرع
كالعار في السترِ غدا تحتها البسفور والشوهاء في البرقع

. . .

يا يوم عكّار ومــا نلته من حجة السيف على المدعي
ومهرك المصهال في جريه كالفكر أنّى يتّجه يسطع
والرعب قد اقلق شمس الضحى لكن اسيافــك لم تهلع
يمًا عليها من دماء العدى ومن غبار النقع لم تلمع

الشهابيون في حوران ولبنان

مل. حوران كان صيت شهاب   في السويداء واللجا والجدور

هذا ابن سيفا قد جفاه الكرى   وطيب الأحلام في المضجع
طيفك هدّ الصلب من عزمه   فقلبه يعثر بالاضلع
وذكرك الصخّاب في اذنه   ذوب الرصاص الحر في المسمع
ولّى كقايين وعيناك في   آثاره أنّى يسر تتبع
يلقاك في حلٍ وفي رحلةٍ   وفي حواشي الليل في المخدع
لو لم يخنه النطق من خوفه   لصاح عفواً يا امير ارجع
أقسمت تبني الدير من قصره   بزمزم الطهر وبالموكع
بنيتها بالعز خفاقة   وصنتها بالأسل الزعزع

. . .

لبنان من كفيك روض الدنى   وواحة الركبان في البلقع
تغص بالريحان آفاقه   من موضع فيه الى موضع
واستكبر الارز فاغصانه   تشامخت للفلك الارفع
عشرون عاماً يابن معن مضت   كأنها انشودة المرفع
فعج سلطان الربى زاهياً   وماس في اذياله اللمع

. . .

ابا عليّ يا امير الوغى   ومن على الذلة لم يركع
جئنا لديك المجد مستنجداً   رب العرين المشبل المسبع
وانصت التأريخ مستعبراً   ومشرئبّ العنق المتلع
يوشع مد الشمس في وهنها   فاتئدت سيراً ولم تسرع
وانت امددت العصور التي   لولاك لم تخصب ولم تمرع
جئتك فخر الدين مستوحياً   فخفت الضاد وجاءت معي
طابت قوافيّ وانفاسها   فيك وعجّ الوحي في مسمعي
يا مطلق الخيل وارسانها   اطلقت شعر الشاعر الالمعي
لبنان من تحت اخضرار الربى   حياك بالجدول والمنبع

جَدّهُ غالب العظيم وغوث السيف والضيف في الزمـان العقير
كان لو مرّ طيفـه بثبير يطلع النبت في رمـال ثبير
جـاوز الحرّتين ظل قريشٍ وتعـالى على صرود عسير
ملء سمع الزمان عزًّا ونبلًا ومدى الفخر والخيال الغزير
دوحة المجد في الحجاز استقامت تنهل الخير من كريم الجذور
وترامت فروعهـا مزهرات وسرى طيبها الى المعمور[1]

صان لفخر الدين عهد الوفا لم يصرم الحبـل ولم يقطع

١) الشهابيون يتصل نسبهم بالنسب النبوي الشريف لان جدهم مالك الملقب بشهاب من سلالة مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وقيل ان لقب شهاب لقب به مالك من الشهبا، وهي قرية من قرى حوران استوطنها بامر من عمر بن الخطاب سنة ٦٣٦ هجرية . وقيل ايضاً انه لقب بذلك تبركاً باحد اجداده فهو من نسل شهاب بن عبدالله بن الحرث بن زهرة القرشي من رهط آمنه ام الرسول (صلعم) وهذا هو الرأي الاقرب الى الصحة .

وفي القرن الثاني عشر ارتحل الشهابيون عن حوران وقد بلغ عدد عشائرهم الخمسة عشر الفاً تقريباً ونزلوا وادي التيم الذي كان يومئذ في قبضة الافرنج الذين استوطنوا حاصبيا وجعلوها منيعة بالحصون وادوات الحرب والعساكر، وكان قائد الافرنج الكونت اور (Ur) فلما بلغه قـدوم الشهابيين جمع اديه خمسين الف مقاتل وانجده صاحب قلعة الشقيف بخمسة عشر الفاً من الجنود والتقى الجمعان في المكان المعروف اليوم بسهل سوق الخان وحينئذ لعبت النخوة الهاشمية براس الامير منقذ واستل حسامه واغار على الاعداء المتفوقين بالعدد وتبعه ابطاله ففني الافرنج بخسارة ثلاثة آلاف من رجالهم ولم يفقد الشهابيون سوى ثلاثماية .

وفي اليوم الثاني وقف الفريقان موقف القتال فانبرى احـد قواد الافرنج وطلب البراز فانبرى له الامير نجم ابن الامير منقذ فاستويا في النضال ثم هجم الامير نجم على القائد واستل خنجر خصمه وطعنه به طعنة كانت القاضية عليه فانهزم الافرنج الى الحولة وفرّ الكونت في خمساية رجل الى حاصبيا واسر

جئتم يا سيوفُ لبنانَ بيضاً لم تلوث بمنة لمجير
سائل المجد عن مغاوير سوق الخان تهمي صواعقا في الكرور
بسم اللوز في ربى حاصبيا وتدلى للفاتح المنصور
وجرى النبع للعطاش زُلالا بث فيه النمير جهد النمير

هيبة الامير

يا سليلا لقاسم بن شهاب فيك من حيدرٍ سمات الهصور
جبهة من مناكب الصخر قُدَّت ومن النجم واعتزاز الطور
مكمن الجود والاباء غضوناً وغمام معبس في النفور
يرسل الرعد فالقلوب تداعى هالعاتٍ في يومه القمطرير
وشعور في الحاجبين اشرأبت نصلةَ السهم فوّقت للنحور
يعبس الحكم صاعقاً في لحاظ تُخرس النطقَ في لسان الزور
هنّ عرش الدهاء هنّ شعاع ثاقب ضوءه ظلام الضمير
ويهاب الجليس منهن صبحا يبعث العشو في جفون البصير
بارز الأنف أهرَتُ الفمِ جهمٌ يدفع الصوت من لهاة النمور

الشهابيون خمسماية من الافرنج ثم افتتحوا حاصبيا بحد السيف وقتلوا الكونت واصحابه وبعث الامير منقذ بروؤسهم الى نور الدين زنكي ملك الشام فسرَّ نور الدين بذلك وجعله اميرًا على البلاد التي فتحها . اما صاحب قلعة الشقيف فلما علم بانكسار قومه بعث الى الامير منقذ يطلب الصلح .

وكان يومئذ الامير يونس المعني اميرًا على الشوف فهنأ الامير منقذ بانتصاره وجرت بينهما مودة ومصاهرة فتزوج محمد بن منقذ بطيبة بنت يونس وابن يونس ببنت منقذ وهكذا تحالف البيتان المعني والشهابي على المودة والاخاء .

(ملخص عن كتاب ذخائر لبنان لابراهيم الاسود)

نبرة منه تكسف الريح فالأعصارُ عانٍ لطلقة وجهير
فاذا جاش غاضباً وتلظى فعلى اللفظ مثل غلي القدور
وغنيّ عن الرماح امير يبعث القول قاصماً للظهور
لبدة الليث لِحية ضلّ فيها رائدُ الطرف ضلة المبهور
ذيل صنين هيبة وبهاء وبياض الثلوج فوق الشفير
سكبة النور والجلال عليها وصفاء من الغمام الطهور
لون طهر العذراء لم تتفتح بعد اكمامها لوهج الحَرور
عزة الهيكل القديم تجلت في حناياه روعة التصوير
جمع الأبعدين وجه امير هيبة الليث في حياء الزهور

اخلاقه (١)

يا امير الأخلاق يسبل سترًا من عفاف على شباب طرير
ويصون الاعراض غرًّا كراماً من سموم الهوى ولفح الهجير
فاذا همّ آثم باعتداء لمحَ السيف راصداً للفجور

---

١) اما اخلاقه وحسن تدبيره للامور واتفاق كلمة الدروز والمسيحيين على الرضى بحكمه وعدم الانقياد لغيره فلنا عليها شاهد عياني وهو الشيخ مرعي الدحداح فقد كان هذا الشيخ مدبرًا للامير عباس في غيبة الامير بشير في مصر فلما عاد بشير الى الحكم امر ابن اخيه عبدالله بسجنه في غزير ففر الشيخ من السجن ولحق بالامراء الثائرين ثم هرب الى حلب فرسيليا وعاش هناك معروفاً بعداوته للامير فبعد حوادث سنة ١٨٤٠ استدعاه الملك لويس فيليب ووزراؤه الى باريس واستطلعوا رايه بخصوص لبنان فاجابهم (لا تعود الراحة الى لبنان حتى يعاد الامير بشير حاكماً على الجبل لانه ما من احد سواه يمكنه استلام مقاليد الحكم بكل اقتدار ولا يتفق الدروز والنصارى على طاعة غيره فهو العادل القادر الوحيد الذي يحترمه الجميع) وهذه شهادة عدو صادق . ثم لا

تنشر العدل منصفاً كانتصاف الشمس في الظهر طلقة في الظهور
ويسير الرعديد فذًا جسورًا يقطع الليل في صميم الوعور
يحمل التبرَ آمناً لا يبالي وتخوض النساء وادي الحرير
خاطراتٍ بالماس والحلى غيدًا[١] ناعماتٍ في ظلّك المنشور
فاذا مدت الثعالب عيناً روعتها مهابة الناطور

يخفى ان الشيخ طنوس الشدياق صاحب اخبار الاعيان في جبل لبنان كتب لمحة عن الاسرة الشهابية تحت مراقبة الامير فارس سيد احمد فكان يكتب اذن تحت نص خصم الامير بشير ومع هذا فانه عند ذكره لوفاة الامير بشير خصه بوصف قلما ينعت به كثير من كبار الرجال فقال حرفياً (كان الامير كامل الصفات الحميدة عاقلاً عادلاً حليماً شجاعاً فاضلاً كريماً شهماً يقظاً فطناً صادقاً رزيناً حزوماً جبارًا فتاكاً صبورًا غيورًا) فما رايك بصفة حليماً يكتبها طنوس الشدياق بنص الامير فارس سيد احمد عدو الامير بشير.

(ملخص عن الشيخ سليم الدحداح)

١) ومما يذكرون من عدل الامير واستتباب الامن في عهده ان رجلاً دخل ذات يوم مجلس الامير وبعد ان حياه ودعا له بدوام البقاء روى له انه كان مارًا ليلاً في وادي القرن الواقع على طريق الشام بعد وادي الحرير — وهو المكان المقفر المخيف في ذلك العهد يكثر فيه قطاع الطرق الذين يسلبون المارة ويستبيحون الدماء والاعراض — فلقي امرأة تسير وحدها وكانت الليلة مقمرة، والخواتم الذهبية والحلى تلتمع في اصابع المرأة ومعصمها فسألها الرجل عن سبب هذه الجرأة النادرة والطريق مقفر واللصوص كثير فقالت انا لا اخشى احدًا لان ابا سعدى رفيقي (تعني بذلك ما للامير من هيبة ومكانة في النفوس) قصّ الرجل هذه الواقعة على الامير وهو يرجو ان يسرّه بهذا الخبر.
ولكن بشيرًا غضب غضباً شديدًا وقال للرجل كيف تجرأت على مخاطبة امرأة وحيدة في ذلك المكان القفر اما خشيت ان ترعبها لمجرد التعرض لها بسؤال. وقيل ان الامير امر به فقتل والاصح انه اكتفى بتأديبه وسجنه.

مجلس الامير [١]

نَدوة العلم فالحديثُ عقودٌ — من نظيم الحلى وزهو النثير
أعلى المقعد الوثير تلاقت — ناعمات النمام والسمور ؟
ومدار الكؤوس قهوة عدن — في صحاف صينية التكوير
خَلَّدَ الفن فوقها في صباغ — تاخذ الطرف بالجمال الذرير
ودخان (الغليون) غزل حرير — يتلوّى في اللولب المستدير
حدّقت فيه مقلة الليث حتى — لتروح الاجفان في تسمير

---

١) كان الامير يجلس في البهو المعروف بقاعة العَمود في قصر بيت الدين ولم يزل في هذه القاعة من الرونق والزخرف ما يأخذ النظر حتى اليوم وكان ابو سعدى يدخن الغليون المعروف (بالشبوق) ومن حوله رجال العلم والفضل. حتى ان الشاعر الفرنسي المعروف الكونت دى لا مارتين زاره واخذته الدهشة من عظمة الامير وبهرته الضيافة العربية السخية فمكث عنده مدة ولم تزل في القصر غرفة معروفة بغرفة لامارتين.

وقد قرب الامير اليه بعض المتصفين بالادب في ذلك العصر واكرمهم ورفع منزلتهم واجتمع لديه من مشاهيرهم نقولا الترك والياس اده وبطرس كرامه والشيخ ناصيف اليازجي. والشيخ ناصيف هو الذي امتدح الشهابيين في قصيدته المشهورة في تأبين الامير سعيد حفيد الامير بشير ومنها:

أجلُّ بني الكرام ابا وَجداً — واكرم رهطهم عماً وخالا
كريم من كريم من كرام — بنوا في المجد اعمدة طوالا
سليل امير لبنان المنادي — انا لبنان لما ملت مالا
اذا قلت الامير ولم تسمي — فلا يحتاج سامعك السؤالا
سالنا تحت معن عن نظير — له هل قام فيه قال لا لا
ستبكيه البلاد ومن عليها — الى ان تستعيض له مثالا
وتحصي الناس ما فعلت يداه — ولكن بعد ان تحصي الرمالا

أتراه يلملم المجد حلماً · من اكاليل امسه المذكور
أم تراه يستعجل الغيب حتى · يستبين الرؤى خلال الستور
حَالِماً بالغد الخصيب كأن الدهر ظلٌ لعبده المأمور
كان ذاك الدخان رمز فناء · للأماني وصورة للمصير
نهدة للعلى فبسطة مجد · فعقاب ذو جانب مكسور

. . .

يطلع الصبح خافقاً برجاء · فاذا الليل خيبة المقمور
يعجز الخاطر المحلق بِرٌ · حجبته أكناف دهر دهير
يا طليق الخيال أنت أسير · لسفك الغيب بالوثاق الجرير
انت حرّ النيات فانشر جناح العزم ظمآن في الفضاء الشطير
يحلم النسر بالوكور رحاباً · خلف ابعاد أفقه المنظور
فاذا وكره حرام عليه · والقنان الشمّاء رهن الدثور
حسب تلك القلوب آية نبل انها فوق مأمل ميسور
قد يغوص الملّاح يبغي اللآلي · ويشقّ الخضم جِدّ قعير
ويخوض الأنفاق طالب تبر · والمفازات تأشد السامور[1]
حسبهم غبطة الوثوب ثواباً · انه الخلد حَدٌّ حَدِّ الاجور

بطرس كرامه[2]

تهت يا شاعر الامير اختيالا · فأضلتك زهوة المغرور
فاتكَ الحلم والذكاء مشيراً · فابتدعت الصعاب للمستشير

---

١) السامور هو الالماس.
٢) كان بطرس كرامه معلماً للامير امين ابن الامير بشير ثم اصبح شاعره

ما بلغت السُداد في المتنبي والبيان الضحضاح عند جرير
هِجتَ اقلامنا الفتيـة بغياً فاستحال الظهير غير ظهير
تصبر الأسد في الطوى وتواري في الحنـايا تأوه مصدور
تكتم الفقر رفعـة وحياء وهي في مثل لوعة الممرور
ينشب السهم في حشاها فتغضي وَيَشِلُ الاباء دمع البقير
ولوقعُ المنون في قلب حر دون ضيم الهوان والتحقير

الشاعر لامرتين في مجلس الامير

مجلس الامس عزة وجـلال وشهـير يأتمّ إثر شهير
اطلق الغرب بلبلًا البسته رَنّةُ الشِعر من حلى شكسبير
أيكةُ العزّ اومأت فعلاها مُفردُ البث ذو الجناح السمير
يا لمرتين ان لبنان سمحٌ يجعل الضيف قبلة التوقير
فاذا جـاء مستبدًا فخورا حَطّم العدل من جناح الفخور
نُنزل الماس في القلوب ونغضي عن زيوف البلور والقصدير
نعشق العلم والسداد وإنا موئل الوحي موئل التفكير
ونعـاف القيود والنُظرة الشزراء تلقى من مترف لفقير
شِيمة الارز، فهو يبقى شموخاً لا يـدلّي الغصون للتصعير
ليس فينا من يقبل القيد طوعاً غير نكس مضيّع مأجور

ومستشاره وبئس المستشار فانه اوغر صدور اللبنانيين عليه بما كان يبديه من الاراء السقيمة وكانت سياسته هذه في جملة الاسباب التي حملت اللبنانيين على الثورة وقد اساء الى الامير سواء في التسليم للدولة التركية وسواء في الرحيل الى الاستانة حيث مات الامير مخيب الامل وافلح بطرس كرامه بتزلفه الى الاتراك.

(ملخص عن الدحداح والدبس)

الجزار والامير [١]

عرش لبنان جئته والمنايا جائعات والعمر غضّ البكور
علم الله ما تلاقي من الجزار إلا بحرًا خِضَمّ الشرور
كان جعد الكفين نذلًا لئيماً اخرق الطبع سادرًا في الغرور
فيه للدم نهمة واشتياق ويرى القتل من مجالي السرور
فاذا الصبح ملّ نهب اليتامى راح يلهو العَشيّ بالتدمير
يلبس العبد رونق الشمس تاجاً ويخبّي في النفس لؤم الاجير

محمد علي باشا

جئتَ مصرًا فكنت ضيف امير يُرجع الطرفَ وهو جد حسير
واحد الشرق ها هنا فتملأ عدل موسى وهمة التيمور [١]

---

١) لا نرانا في حاجة للاستشهاد برهاناً على عسف الجزار وجوره فقد كان نيرون هذه البلاد ولا يزال الشيوخ من اللبنانيين يذكرون اسمه مرادفاً الظلم والخيانة وحسبنا ان نستشهد بابيات المرحوم الياس اده وان تكن مترجحة بين الشعر العامي والفصيح وفيها تاريخ موت الجزار وكان الياس اذ ذاك في ديوان الامير بشير فاقترح عليه ابياتا بديهية في موت الظالم فقال ابياتاً منها:

وافى السرور وصح ترجيح الامل بهلاك علج لا يعادله مثل
عين المآثم والمظالم والردى شر العوالم ان تفكر او عمل
لله درك يا منون لقد بدت منك الحياة وطاب حكمك واعتدل
فاز الانام وارخوه بقصد هلك الشقي والى جهنم قد رحل
(تاريخ الدبس)

١) التيمور هو الاسد ومن هذا القبيل تسمية تيمورلنك ولفظة لنك معناها الاعرج . اما اتصال الامير بشير بمحمد علي باشا فسببه ان الباب العالي ولّى درويش باشا ولاية عكا بعد ان خلع عنها عبدالله باشا وولى درويش باشا الامير

شطَر النيل مصر شطري إخاء   وحباها لزائر ومزور
وتلقاك بالنخيل سوياً   يَعطر الظل لاجماً للسعير
قد وفيت الجميل شيمة سمح   يرجع الكأس بجرة المعير
صنت عهدًا لابراهيم مغيراً   يلهب الترك بالشُواظ المطير
هكذا ينجد الحليف حليفاً   وتطيب الشبا لشأن خطير
حيثما خف بُسَّلٌ للمنايا   خفَّ لبنان في الرعيل المغير
فاذا تصهل الجياد بحمصٍ   تقشعرِ البطاح في ازمير
سائل السيف سل فلسطين عنهم   يوم دكِّ الحصون في سانور [1]
كم قتيل هوى غَطاء قتيل   وجدور كُفِنَّ طي جدور
وتدوس الاسود اشبالها الصرعى وترقى الى شفير السور
تركز البيرق الخضيب فيزهو   علم العز في المقام الوقور
رضي المجد عنهم وتجلى   باسم الثغر في ذرى طابور

عباس اسعد على لبنان فاضطر حينئذ الامير بشير ان يرحل الى مصر ومعه ابناه الاميران خليل وامين وبعض حاشيته وتزل ضيفاً على عزيز مصر محمد علي باشا الذي قلما شهد الشرق مثله في الرجال شجاعة وعبقرية واخلاقاً غرا وقد لقي الامير من عزيز مصر واعوانه كل تجلة واكرام. وقد افضى محمد علي اذ ذاك الى بشير بما ينويه من الخروج على الدولة التركية فوعده الامير بالمساعدة. وتوسط محمد علي لدى الباب العالي لارجاع عبدالله باشا الى الولاية فتم له ذلك بعد جهد وافر وانعم على الامير وولديه بحلل وجياد واكرمه بمائة وخمسين الف من القروش ولما بلغت السفينة التي تقله عكا امر عبدالله باشا باطلاق المدافع ترحيباً به ثم سار الامير بموكب عظيم الى بتدين.

(ملخص عن الدبس)

١) في سنة ١٨٢٩ انتقض النابلسيون على عبدالله باشا فارسل عسكراً لكبتهم فتحصنوا بقلعة سانور فكتب الى الامير بشير ان يجمع الفي رجل من

ابراهيم باشا وثورة اللبنانيين[1]

ما رعى العهد صاحبٌ فاستشاط الحقُّ قلبَ المرزأِ المغدور
قاطف الشهد يجتني ويخلي لليعاسيب بلغةً في القفير
فاذا مزّق القفير حريصاً عاد منه بلسعة المأبور

بلاده ويسير لفتح القلعة فجمعهم وعهد بتدبير شؤون لبنان الى ولده الامير امين . وفي مطلع سنة ١٨٣٠ سار الى عكا فرحب به الوزير واكرمه وابنه الامير خليلاً وبعض حاشيته بخلع وهدايا فاخرة . ونهض الامير بالعسكر . الى الناصرة ثم الى قرية جنين واقبل على قلعة سانور حيث كان الوزير معسكرًا واخذ يدبر العساكر في حصار هذه القلعة الحصينة . وفي ذات ليلة خرج النابلسيون من القلعة ودهموا الارناووط من عساكر الوزير واستظهروا عليهم وحاولوا اخذ المدافع منهم فارسل الامير جماعة من عسكره فهزموا النابلسيين الى القلعة ودنوا من جدارها وكانت النساء من القلعة تغمس اللحف بالزيت وتشعلها وترميها لينظر المحاصرون عسكر الامير ويسددوا اليهم الرصاص فدام القتال الى الصباح ثم استمر ثلاثة ايام وجمهر النابلسيون الخارجون عن الحصار ومعهم ثلاثماية من الفرسان الرُّحل واخذوا يمنعون العساكر عن استقاء الماء فوثب عليهم جماعة من عسكر الامير فهزموهم الى قرية عسجة حيث حصروهم واحرقوا القرية وقبضوا على من استمروا محاصرين فيها فقتلوا منهم تسعين رجلاً واسروا اربعة عشر فكتب عبدالله باشا الى الامير يثني عليه واستسلمت القلعة عن يد الامير بشير بعد قتال عنيف . وقد اوصى الامير ولده خليلاً بعيال الاسرى واموالهم والسهر عليهم وكانت مدة الحصار ثلاثة اشهر وامر عبدالله باشا بدك القلعة وتعطيل ابارها ومغاورها وغشى مدافعه بجوخ احمر اشارة الى فتح هذه القلعة الشهيرة .

(ملخص عن الدبس)

١) انتقض محمد علي باشا على تركيا وداهمت عساكره شواطئ المتوسط وقد عقد اللواء عليها لابنه ابراهيم الذي ابلى بلاء حسناً في حرب المورة والنجده

قاهرُ الترك واثبته اسود   تنثر الذعر في الخميس الغفير
داغرٌ وابن غانم فابو سمراء   نجد على الجواد الدرير
والكميُّ العريان ليث البوادي   هَاجَ في المتن فيصل الشنتير
قد تغضّ العيون من شأن خِلّ   فتراه نعامة في الحظير
فاذا ضِيمَ فالقلوب هشيم   يتوارى من وهجه المستطير
يصمت الليث طاوياً ويَدْوي   بالزئير الجريحِ عند النير

. . .

الامير بشير بفرسان اللبنانيين الابطال في معارك عديدة منها معركة حمص التي مني فيها الجيش العثماني بالهزيمة . واستبقى ابراهيم باشا الامير بشير في حمص ولحق بالجيش العثماني الى حلب فدخلها في ١٧ تموز سنة ١٨٣٢ بعد معركة هائلة وانهزم القائد التركي حسين باشا وتحصن في امنع مضايق جبل طورس المعروف ببوغاز كيليكيا فلحقه ابراهيم باشا وشتت شمله في ٢٩ تموز من السنة المذكورة . وفي سنة ١٨٣٣ ثارت ثورة الصفديين فهب الامير برجاله اللبنانيين واخضع الثوار كما اخضع ابنه البطل الامير خليل جبال العلويين واخمد غيرها من الثورات التي وقعت خارج لبنان واهمها ثورة الدروز الاشاوس بقيادة الاسد الضرغام شبلي العريان.

اجل ان ابراهيم باشا كسر الجيوش التركية واجتاح المدن واكتسب اعجاب اهلها ببأسه ولكنه لم يعرف كيف يكتسب ودهم واخلاصهم فكان كلما ابتعد عن ولاية اخضعها قامت وراءه ثورة ولم يجد في مملكته الجديدة من مصر حتى الاستانة شعباً اخلص له الود وساعده في فتوحه كالشعب اللبناني ولكنه بدلًا من تخفيف نير الضرائب عن كاهل الشعب ليساعده على نبذ الاتراك اثقل عاتقه بالضرائب وساق شبابه للمعامع وكان عندما يعود هؤلاء الابطال الى عيالهم يرونهم في ضنك وشدة ثم اراد ابراهيم ان ينتزع سلاحهم الذي حملوه للحرب في سبيله وانما اللبناني وخصوصاً الدرزي يتخلى عن كل شيء لا عن سلاحه لذلك هبت الثورة اللبنانية من كل جانب فاضاع ابراهيم باشا

الامير خليل

سيفك العضب في حِفاظِ خليل | بَثّ في الخصم رعشة المقرور
يغدق الحلم والرحابة حتى | لترى الحلم صارخاً يا عذيري
فاذا ظل في الرماد ضرام | وقلوب تشتدّ في التوغير
هَبَّ كالفيصل الرهيف امير | يطفئ النار بالنجيع الفطير
بضعة منك قلبه يتسامى | في طلاب العلا وحزم الامور
يولد الزأر في فم الليث عفواً | كالأغاريد في فم الشحرور

تألب دول اوربا على الامير[1]

يا اميرا هوى شهيد وفاء | انما البذل طاقة المستعير
ومتى اصبح الوفاء انتحاراً | كان ذاك الافراط كالتقصير

في شهرين ثمرة جهود عشر سنين . وقد ظلت الدولة العثمانية بعد خروجها من هذه البلاد تترقب العودة اليها وقد راسلت الامير بشير سرّاً واغدقت عليه شتى الوعود فلم ينقض العهد .

وكانت الدول الاوربية ما عدا فرنسا غير راضية عن تبسط ابراهيم باشا في الفتح فاوغرت صدور اللبنانيين عليه وتنادى زعماء الثوار واجتمعوا في حرش بيروت واشهرهم احمد داغر المتوالي ويوسف الشنتيري وابو سمرا غانم البطل المغوار الذي سلك بجواده في احدى المعارك الحامية معبر جزين وهي فروسية شبيهة بالاساطير لو لم يكن شهودها من الشيوخ الصادقين وقد نقلوا الينا الخبر عن معاينة .

(ملخص عن المؤرخ الاب قرألي بتصرف)

١) ولم تفلح الثورة في بادىء الامر لولا وصول المراكب العثمانية مصحوبة بمراكب انكليزية ونمسوية وبروسية وروسية وعليها خمسة الاف جندي من العثمانيين ونحو الفين من الاوربيين . وقد ارسل قائد الحملة يستدعي الزعيم ابا سمرا غانم واكرمه وسلمه اربعة الاف بندقية فتوجه بها وجند اربعة آلاف

رمت ان تنقـذ الغريق وَشَطُّ البحر اطواد غضبـة وزفير

عـاد باللؤلؤ السَنيّ فخوراً ورَمَتكَ الاقـدار طي قعور
واذا أجمع الزمـان لغـدر عَطَّـلَ الرأي في لسان المشير
فَرش الـدرب بيلساناً وآساً فتنقـل على البساط الوثير
واذا ما صحوت فالحلم كسف وأمـانٍ تَئِنُّ في الجنزير

رجوع الامير

يا قطـاراً يقـلَّ نعشاً حبيباً حملك المجـد فاتئدْ بالمسير
ان للسيف عـائداً بقراب ذكريات المهنـد المشهور
وسواء عود الحسـام حديداً او كليلاً من بعد قرع الذكور
ان تجيء يا قطارُ لبنان فاخفض همهمات البخـار والتصفـير
بدد الجهم من دخانك واسلك جبل الحسن والندى والعطور
هيكل الشرق أمه بعد نأيٍ أمـل الشرق ساجياً في سرير
أمسَـكَ الجو منصتاً وتمشت رهبة الصمت في اللقاء الخطير

يا عتيق الشربين في قصر بيت الدين جدّد شباب عهـد نضير

عـاد للروض ربّه فاستحرت في الافـانين نشوة المخمور

جلجل الشوق في رفات ابي سعدى وَحنَّت للخـدر رُوح الامير

رجل من جهات كسروان وابلى بلاء حسناً في المعركة التي دارت بينه وبين عسكر الباشا . ولما عاد الامير بشير من بعلبك تلقى كتاباً من القائد العثماني يخاطبه فيه بالتسليم مقابل بقائه على ولاية الجبل وجعلها وراثية لذريته من بعده وضرب له مهلة ثمانية ايام للجواب ومع ان الامير كان شاعراً ان الدائرة ستدور عليه وعلى حلفائه فقد فضل كل شيء على نقض عهوده .

(الدبس وقرألي)

هَزّتِ اللحد رَجّةٌ حسبتها		هاتفات الأرواح رجع الصور
واذا اشتد في الغريب حنينٌ		بُعِثَ الميت قبل يوم النشور
ايها الدير[1] عاد جارك فابسط		صدرك الرحب خاشعاً للمرور
وافرش الدرب من جبين الروابي		عابقات النسرين والكافور
من نأى عنه خِلّه قَدْرَ قرن		ليس يرضى في عيده باليسير

. . .

بَشّري القصر يا سماءُ بعودٍ		يا تلال اهتفي ويا ارض طيري
اتراه النعمان في الركب والاعلام يهفو مشوقاً للسدير
ام تراه الايوان ايوان كسرى		باعدته الايام عن أزدشير
أمسكي قاعة العمود فإني		بتّ اخشى من الهنا ان تموري
جال في المرمر الكميت شرايين تنزت بلهفة المحرور
حركتها من ذكريات ابي سعدى شؤون من الزمان الدبير

. . .

باحة القصر جاءك الجيش يحدو		علم المجد خافقاً للبشير
فَرّجي فَرّجي صفيق الزوايا		أنف المجد من مجالٍ حصير
كان هذا الميدان ملعب عز		للرماح الدقاق والتضمير
حلبة إثر حلبة تتبارى		طائرات على صداح النفير
فاذا بَلّها الصواحُ اصيلاً		تلمح الكر كاندفاع النهور
ويرى النسر صِيْدَ لبنان شوساً		همّة الاسد في خفاف الصقور

---

١) دير القمر.

جمال لبنان

ارضنا رَبّـة الدنى وربانا   معدن المر والشذا والبَخور
تمرح العين في التلال العذارى   والرياحين والشعاع النثير
مسرح القلب والخيال جمالٌ   اعجزت هامُها طموح الطيور
ارزها سدرة الجلال ارتفاعاً   وانتهاء العلى وصرح العبير
يتحدّى من الزمـان عصورًا   ومن الريح عَصفـةَ الزمهرير
يستنيم الاعصـار بين يديه   نومة الطفـل في دفء الحجور
سلسلُ الحوض مـاؤنا يتنزّى   نزوة الظبي ممعناً في الطفور
دائم السكب فالرحيق مشاع   لا سقاة ولا اختيـال مدير
قطّرتها الجبـال خمر ثلوجٍ   لم يُدنَّسْ بياضهـا بالعصير
كدموع العذراء سالت لُجيناً   أين منها في الصفو خمر الديور
تصدح الطير بكرة في جمـانا   حـائمات على المسيل الشجير
تتنادى من كل غصن لفيفٍ   وتبث الترتيـل في المزمور
ناشرات الجناح فوق السواقي   في غمـام من الحمام الصبير[1]
تنقر الحَبَّ من خِـلال اللآلي   وتجيـد الهديل غِبَّ السحور
فتغني الورقاء في الزفّة الكبرى نشيدًا في مثـل لون الحبور
أترى دولـة الطيور تصـلّي   مضمرات التَسبيح والتكبير
كل نجد من ثُمّ لبنان قدس   يستحث النفوس للتطهير
فالكهوف الأبكار في سفح قاديشا تنـادي الارواح للتكفير
وترفّ الأطيـاب آساً وشيحاً   دفقة العطر من فم الخنجور

---

١) هو الحمام الابيض.

خلوات للنفس تومض منها في صفاء الزبرجد المصهور
بركات السماء تهمي على لبنان فيضاً من كف رب قدير

. . .

ما لهذا الصباح في هدأة الاسحار يلقي وشاحه في فتور
أشقرَ الذيل يقطر النور طلًّا من تَثنّياتِ هُدبه المكسور
فكأن الحسناء أنضت قميصاً عن لجينٍ في حُقه الممهور
يشرق الكرم في ظلال الدوالي فالعناقيد في التماع البدور
هاجها الشروق للدنان فقامت متلعاتٍ أجيادها للزير
فاذا دغدغ النسيم سَناها راح منها بنشوة السكّير
يا صباح الكروم ويحك هَتكٌ عن جبين التلال بيض الستور
لَفّها الليل بالضباب عشيقاً فعلى الورد رعشة المسحور
غار منه الرمان فانشق وجداً واستشاط الهوى بقلب الغيور
يا ليالي ايلول في جارة الوادي كبارِ المنى رحابِ النذور
تنهل العين من ربى تل شيحا[1] سكبة البدر في المساء المنير
خفقان النجوم رقص ضياء وخفوق الارواح وهج شعور
فكأن السماء صفحة حُبٍ وجمال مقسم في الثغور
مضَّها الهجر والنوى فتهاوت واطمأنت على شفاه الحور

لبناه القديم المقترب

يا رفاتاً مباركاً انت ذخر في يواقيت كنزنا المأثور
كنزنا الفكر والمحبة فابذر من يدينا في الفدفد المغمور

---

١) اسم علم لرابية تشرف على سهل البقاع.

نُطلع الغصنَ في حزون الفيافي ... والحضارات في قَصيّ العمير
قد خلقنا الشراع في شطِّ صيدا ... واصطفينا المرجان من قلب صور
سُفُنٌ تفتح الخضمَّ عيوناً ... مثقلاتٍ بالخزِّ والبرفير
تتهادى عرائساً هائماتٍ ... في جمال من أزرق البلّور
تنقل العقل والسلام شعارًا ... وتبثّ الطيوب عبر الثغور
مرسلاتٍ فكل هبّة ريح ... عجّلت للعقول ألفَ سفير
يا هنيبعل(١) نفحة من ربانا ... ايقظت فيك نخوة الهيصور
هزّ رمحاً تُقبل كتائبُ روما ... باسطاتٍ أكفّها بالعُشور

المهاجرون اليوم

كان لبنان في الشوامخ فردًا ... وغدا اليوم كُنيةً لكثير
حدنا القطب عزمة وطموحاً ... ولنا الجوُ ملعباً في المطير
يهجر العشّ فرخنا لا يبالي ... باجتياح الصبا ودفع الدبور
يمزّق الأفقَ عالياً ويخلّي ... حشراتِ الصعيد للزرزور
ويشكُّ الجناح في الشمس كبراً ... وينال المرّيخ في التنقير
بين جنبيه من صليب الرواسي ... واشتعال المنى وصبر الصبور
تلك أطيارُنا ترفُّ وتحيي ... شُمَّنا العُصم بالندى والبذور
انت لبنان حيثما كنت قلبٌ ... يا فديناك من جفاً وشطور
دينك الحب والرضى وتغالي ... في الصداقات يوم بذل المهور
يومئ الجود للكرام فيسخون ... كما الغيث في السحاب النمير

---

١) هو انيبال القرطجي المولد الصوري الاصل قاهر روما وعابر جبال الالب واكبر قائد في العالم القديم بشهادة نبوليون بونابرت.

يطلقُ الفضل قلبنا بثناء ولسان عَفَّ المقال شكور
ليس منا الشحيح قلباً وكفاً وابن ذلّ أخلاقه من بُثور

الاستقلال(١)

يا اميرُ إستفِق بلادك اضحت حرة مزّقت شديد السيور
كحِلِ العين بالحصاد فقد القيت في السهل مخصبات البذور
دوحة الفخر أمرعت بابن معن. وتغذت بعرقه المهدور
جئت بعد المعنيّ فذّا مريدًا تكشف الضيم بالفرند الجدير

. . .

---

١) في الثامن من تشرين الاول ١٩٤٣ اعلنت الحكومة اللبنانية في بيانها الوزاري تعديل الدستور وجعل اللغة العربية لغة البلاد الرسمية وتعهدت بتنظيم الحكم الوطني ومعالجة الطائفية والاقليمية وحددت علاقة لبنان بشقيقاته الدول العربية وبالحلفاء. ووضعت مشروعاً انشائياً عاماً ومنهاجاً خاصاً بالتعليم ثم اقسم رئيس هذه الحكومة ان يحافظ على استقلال لبنان وسيادته التامة وسلامة اراضيه وحدوده الحاضرة.

وقد اعترفت حكومة مصر باستقلال لبنان رسمياً في اوائل تشرين الاول ١٩٤٣ وفي ١٤ منه اعترفت باستقلال لبنان الحكومة العراقية.

وفي التاسع والعشرين من تشرين الاول ١٩٤٣ ابلغت الحكومتان اللبنانية والسورية السفير الفرنسي المسيو جان هللو مذكرة تطالبان فيها بوجوب تسليم جميع المصالح المشتركة وقد استمهل هللو الحكومتين خمسة عشر يوماً على الاكثر ليتسنى له فيها حمل هذه المذكرة الى الجزائر.

تعديل الدستور

في التاسع من تشرين الثاني ١٩٤٣ قالت الامة كلمتها في دستورها ووافق النواب بالاجماع على تعديل الدستور في العاشر من تشرين الثاني ١٩٤٣

. . .

أنصف الدهر مرةً غِبَّ قرن　　واستبان الضياء للمحجور
اطلعت هذه الربى فرد عصرٍ　　عبقريّ الاخلاق سمح الشعور
انقذ الحق من براثن غدرٍ　　ارهفتها الاقدار للمغدور

ورغبت الحكومة اللبنانية الى المندوبية الفرنسية ان يعزف النشيد اللبناني في بدء اذاعات راديو الشرق وفي ختامها كما اقترحت جريدة بيروت على الحكومة اللبنانية ان تضطر دور السينما الى عزف النشيد الوطني في بدء حفلات السينما وختامها.

اعتقال الرئيس واعضاء الحكومة:

في منتصف ليل ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ اعتدت فرنسا على الاستقلال اللبناني فاعتقل فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية واركان حكومته وهم مع حفظ الالقاب السادة: رياض الصلح كميل شمعون عادل عسيران المرحوم سليم تقلا والنائب عبد الحميد كرامه وقادتهم الحراب السنغالية الى قلعة راشيا وقد اضربت البلاد اللبنانية من اقصاها الى اقصاها احتجاجاً على الاعتداء الثائر على الاستقلال واندلعت نيران الثورة غضبة للحق والكرامة.

وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني انفرجت الازمة بفوز قضية الدستور والحق وعاد فخامة رئيس الجمهورية والوزراء الى مناصبهم مرفوعي الرأس موفوري الكرامة وخفق العلم اللبناني الجديد فوق السراي والبرلمان وزحفت البلاد باسرها الى قصر فخامة الرئيس مهنئة مستبشرة بعودة الحكومة وقررت اللجنة الفرنسية عزل هللو وتعيين شاتينيو مندوباً عنها بالوكالة وهكذا انتهت الازمة.

واعتباراً من اول كانون الثاني ١٩٤٤ انتقلت الى لبنان وسوريا جميع الصلاحيات التي تمارسها فرنسا وقد تم الاتفاق بين قائد الجيش كاترو وبين ممثلي الحكومتين السورية واللبنانية على تسليمها الصلاحيات التي كانت تمارسها السلطة الفرنسية.

(ملخص عن جريدة بيروت) عدد ٢١-٢٢-٦٦

يا رئيس البلاد أكرم بتاجٍ من رياحين ارزنا مضفور
لا يدانيه رتبةً تاجُ كسرى ويبذ الايوان في التقدير
من فم الليث نلته والليالي مؤذناتٍ بكل هول نكير
تاجك الارز اخضرًا سرمدياً مستظلًا براية المأسور
رايةٌ نلتها ثواب اعتقال صار عيد الاحرار غب شهور
يا لها ليلة كأن النجوم الزهر فيها تهمّ بالتغوير
ليلة الاسر أيقظت الف صدر من اثيم الرقاد والتخدير
واستحال السخط الابي حراباً مرهفاتٍ تكسرت في الخصور
غُيِّضَ البشر في الثغور فصارت جمرات البركان بعض الثغور
ثورة رجّعت صداها الروابي فالاثير المُنناف في تعبير
يتبارى الفتيان والغيد أسدًا تجرع الموت من سلاح المبير
لم يُرِعْهم مَن يُمطر الشعبَ نارًا من جحيم البنادق المسجور
قلعة الاسر كم تلاقت قلوبٌ حول تلك الاسوار رغم الخفير
أي جيش يصد ثورةَ شعب حسبه الحق من وليّ نصير
قطرة من دم الشهيد صباحٌ يخضب الافق بالشعاع المثير
وبروح الضياء كوكبَ هَدْيٍ ومنارًا للنابه المستنير
إن زرع الدماء يُحيي مَواتاً كانتشاء الطلا بفضل الخمير
مَشْرَعِ الحق للضعيف مِزاجٌ من دماء ومن شراب مَرِيد
آهةٌ غب آهةٍ تتلظّى كاستعارِ الرمضاء في التهجير
لم يخطّ اليراع تأريخ مجدٍ إنما السيف يرقِّم التحرير
فاذا دوّن الكتاب انتصارًا فاقرأ الدم لاهباً في السطور
ما لأمِ الدستور والنور قدماً تستبيح الاغلال للدستور

ذلك الخمر كيف اصبح خلّا ... وهو فخر الطلا ورب الخمور
منهلٌ للعطاش غير ضنين ... زمن الجدب والمنال العسير

. . .

يا فرنسا يا مطلع الضوء تاهت ... فاستبان الخبير غير خبير
تهدمين البستيل[1] ثورة حق ... وتقيمين معقلًا للنسور
كان بالأمس سيفك العضب نورًا ... ورجاء وعصمة المستجير
لوثته بالاثم عصبة شر[2] ... مَجّها البحر في الزمان الاخير
تطلب النتن في الرَغام وتلهو ... عن طلاب العلا بسقط القشور
ويكَ واسين سدوة الخلق والالهام والشعر في البيان القرير
لو رأيت الاحفاد عُبّاد حرص ٍ في طباع من بؤرة الماخور
انما الدين يعصم الناس خَلقاً ... فاذا انحلّ فالعلى في حدور

. . .

ايها الروح من شهاب دفيق ... خَضّي الأفق بالسنا وأنيري

---

١) السجن المعروف في باريس الذي هدمه الثوار الفرنسيون.

٢) (وشهد شاهد من اهلها) واننا ندعم ذلك بتصريح السيد بار نقلًا عن جريدة آسيا عدد ١١٢٧ فقد روت الجريدة في معرض الكلام على الثورة اللبنانية وحكومة بشامون والمفاوضة التي دارت بين رسول كاترو وحكومة بشامون : قال السيد بار انه موفد من قبل الجنرال كاترو ليطلب من الحكومة ان تجتمع بالجنرال وان الجنرال صديق اللبنانيين وفد خصيصاً من الجزائر ليضع حدًا لحالة مؤسفة جرها على فرنسا وعلى لبنان موظفون فرنسيون جهلة وان الجنرال كاترو لم يكن عالمًا بما اقدم عليه جان هللو ونفر من معاونيه في المندوبية العامة . فتكلم الاستاذ ابو شهلا شارحاً للسيد بار الظروف التي تم فيها اعتقال الرئيس وصحبه والوحشية التي اظهرها الجنود وكيف حطموا الابواب وروعوا الاطفال وانتهكوا حرمة المنازل.

وتناول الامير مجيد الحديث ثم صبري بك حماده فضربا على الوتر نفسه

فيسير استقلالنـا في ضياء مستقيمَ الصراط غـير عَثورِ
يبلغ المرفأ الامينَ معافى ليس بالمُجتـدى ولا المبتور
ان تهبّ الرياح غرباً تحاشى عن صخور لها سِمَاتُ النَّذِيرِ
واذا ما الصَبا تَغنّت وسالت راح يبـلو مزالق المعبور

وقال الامير مجيد لو كنت مكان الجنرال كاترو لالغيت هذه الدائرة الفرنسية التي يجب ان تسمى دائرة الاخلال بالامن العام لا دائرة الامن العام لانها قد جرت عليكم جميع هذه الويلات ولسقت الى آلـة الاعدام اولئك الموظفين الافرنسيين كباراً وصغاراً لانهم اقدموا على جريمة ١١ تشرين الثاني وقال صبري بك اننا لا نلعنهم لانهم بعملهم هذا قد بعثوا الامة من ثباتها وسنرى ان البلاد تنال الاستقلال وستدفع ثمنه من دم ضحاياها وشهدائها ولن يستطيع احد ان ينتزع منا استقلالاً اخذناه بالدم.

من ثورة الطلبة

في نحو الساعة العاشرة من صباح اليوم الثالث لحوادث تشرين تجمع عدد غفير من طلبة المعاهد ببيروت امام بناية بعثة سبيرس ليعربوا عن شكرهم للكلمات التي القاها في مجلس العموم البريطاني احد اعضائه مطالباً باعادة الحالة في لبنان الى ماكانت عليه وبوضع حد لاعمال الارهاب فوقف الطلاب في هدوء ونظام وانتدبوا منهم ثلاثة يتكلمون واذ وصلت اربع سيارات فرنسية تقل جنوداً مسلحين واخذوا يطلقون الرصاص من البنادق والرشاشات على الطلاب وقـد روى احد الجرحى السيد هاني غندور ان الضابط الفرنسي تقدم اليه وبندقيته مصوبة الى راسه قائلاً ان كنت في حاجة الى رصاصة اخرى فلن ابخل بها عليك ولكنه استدرك حين راى غزارة الدم وتمم كلامه مقهقهاً : لا اظن انك بحاجة اليها فستلفظ انفاسك عما قليل.

وروى احد قواد الثورة الحادث التالي قال:

ان قرية درزية اوفدت الى بشامون جميع من فيها من الرجال وعددهم خمسون جاؤوا مسلحين ولم يبق في القرية سوى النساء والشيوخ الطاعنين في

فيكون المـلأحُ شهماً رفيقاً لا يمـدُّ الشراعَ في المحظور
ويقود السفين عِبَر هواء مطمئن حلو النسيم نصور
يُنعِشُ الصحب بالشراب طهورا دون ما سكرة ولا تبذير
فاللبيب اللبيب لا يُترع الأكواب من كنز خمره المذخور
لن يعيد التأريخ آية قانا(١) والسخاء الممدود صِنوُ القصور
ينهل الخمر بالكؤوس صغاراً ان يكن في الدنان غير وفير
حسبنا من رحيقها قطرات ترهف الحِسَّ في فم المسرور
من أراقَ الشرابَ في البحر جهلاً أعوزته الكروم في التقطير

. . .

ايهـا الروح ألهمينا سلاماً فيصير العشير بعض العشير
انما الدين(٢) حكمة الله جلّت فهي سر في علمه المستور

السن وجاء احدهم ومعـه ابنه وهو في الثانية عشرة من عمره فعينت للاب مكانه ووزعت سائر الرجال على المتاريس وبقي الفتى ينظر اليّ فلما انتهيت سألني وانا . . . قلت انت تذهب الى احد منازل بشامون فتنتظر والدك هناك فبكى ولم يتحرك من مكانه ثم اكب على يدي يقبلها وقال اريد ان احارب وظل يبكي حتى ارسلته الى الكمين مع ابيه فجلس فيه وقضى الليل ساهراً يلمس البندقية بيديه يفعل فعل المحاربين ويعيش كما يعيشون.

١) اشارة الى تكثير الخمر في عرس قانا الجليل وهي اول اعجوبة للسيد المسيح

٢) وكانت السلطات الفرنسية تستفيد من التعصب الديني الذميم وتغذيه اذا ما ضعف وتخلقه اذا ما زال عاملة الى زرع البغضاء بين سوريا ولبنان لتبقى يدها على المصالح المشتركة وادارتها وكثيراً ما طالب احـد البلدين بهذه المصالح فكان جواب الفرنسيين له يجب ان تتفق انت والبلد الاخر حتى يمكننا اجابة مطلبك وكان من حسن حظ البلدين هذه المرة ان تسلم زمام الحكم [illegible]ا في وقت واحد رجال وطنيون لا تستطيع يد الاجنبي ان تلعب بهم.

نحن من نحن ؟ صبية نتعادى فنثير الغبار في الجمهور
فتروح العيون رمدًا مِراضاً وتظل الابصار في تعكير
فاذا العُميُ في ظلامٍ كثيفٍ يستمدون من سراج العُور

. . .

انما الله رحمةٌ وحياةٌ وحنان يحنو على الشرّير
منهل الخير والسماح وفيضُ الحب ظُلٌّ من العليّ الغفور
نعمة الشمس والكواكب رمز عن شآبيب حلمه الممطور
تنثر الشمس تبرها للروابي وتعمّ الوحول بالتنوير
ما لابناء آدمٍ يغمرون الضوء بالليل والندى بالحرور ؟
أترانا نسلُ التراب عطاشاً مثل قايين للنجيع البكير
هذه الارضُ ارضُكم فاعمروها بالمُروآت والجمال الزخير
وانظموا هذه الجبال عقودًا حالياتٍ بالزهر والتشجير
فَجِّروها جداولًا تتغنى مطلقاتٍ الحانها في الخرير
فيفيق الشعب المجنّحُ نشوانَ يغني في بغتة التبكير

. . .

يا رفات الامير هذا وفاءٌ من جريح مُسمَّرٍ موقور
جسمه ملعب المباضع حتى لترى الجسم وحدةً لكسور
يرتع الداء عنده مطمئناً في عميق الجراح والناسور
ودفين الاحياء اظلم رمساً من دفين في لحده مقبور
بقي القلبُ مُترفاً وهو نَزْرٌ من خيال وبضعة من شعور
حسبُهُ ان يَظَلّ لبنان فردًا موطنُ الحسن والعلى والنور
لاح فجر استقلاله بابنِ معنٍ وبشيرٍ وصُبحُهُ بالخوري

١٢ ايار سنة ١٩٤٧ بولس سلامه